تفسير سورة القمر

ويقال : سورة اقتربت ، وهى خمس وخمسون آية . وهى مكية كلها فى قول الجمهور . وقال مقاتل : هى مكية إلا ثلاث آيات من قوله : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **والساعة أدهى وأمر** ﴾ قال القرطبى : ولا يصح[1] . وأخرج ابن الضريس وابن مردويه والنحاس ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس أنها نزلت بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج البيهقى فى الشعب عن ابن عباس قال : اقتربت تدعى فى التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه. قال البيهقى: منكر[2]. وأخرج ابن الضريس عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى فروة رفعه : « من قرأ اقتربت الساعة فى كل ليلتين بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ». وأخرج ابن الضريس نحوه عن ليث بن معن عن شيخ من همدان رفعه، وقد تقدم أن النبىﷺ كان يقرأ بـ﴿ق﴾ و﴿**اقتربت الساعة**﴾ فى الأضحى والفطر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾

قوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ أى قربت ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقى بعد قيام النبوة المحمدية إلى ما مضى من الدنيا قريبة . ويمكن أن يقال : إنها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة، فكل آت قريب ﴿ **وانشق القمر** ﴾ أى وقد انشق القمر وكذا قرأ حذيفة بزيادة« قد»، والمراد : الانشقاق الواقع فى أيام النبوّة معجزة لرسول الله ﷺ ،

---

(١) القرطبى ٩ / ٦٢٩٥ .

(٢) البيهقى فى الشعب (٢٢٦٦) تفرد به محمد بن عبد الرحمن عن سليمان وهو منكر ، وإسناده ضعيف .

وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف . قال الواحدى : وجماعة المفسرين على هذا ، إلا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال : المعنى : سينشق القمر ، والعلماء كلهم على خلافه ، قال : وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر ؛لأن انشقاقه من علامات نبوة محمد ﷺ ونبوته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة ، قال ابن كيسان : فى الكلام تقديم وتأخير، أى انشق القمر واقتربت الساعة ، وحكى القرطبى عن الحسن مثل قول عطاء أنه الانشقاق الكائن يوم القيامة . وقيل : معنى ﴿ **انشق القمر** ﴾ : وضح الأمر وظهر ، والعرب تضرب بالقمر المثل فيما وضح. وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه وطلوعه فى أثنائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه . قال ابن كثير : قد كان الانشقاق فى زمان رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . قال : وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى ﷺ ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات[١]. قال الزجاج : زعم قوم عندوا عن القصد وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة .والأمر بين فى اللفظ وإجماع أهل العلم ؛لأن قول: ﴿**وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مسّتمر**﴾ يدلّ على أن هذا كان فى الدنيا لا فى القيامة. انتهى. ولم يأت من خالف الجمهور وقال إن الانشقاق سيكون يوم القيامة إلا بمجرد استبعاد ، فقال : لأنه لو انشق فى زمن النبوة لم يبق أحد إلا رآه لأنه آية، والناس فى الآيات سواء، ويجاب بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلا ولا شرعا ولا عادة، ومع هذا فقد نقل إلينا بطريق التواتر، وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ، ويضرب به وجه قائله .

والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله ، فقد أخبرنا بأنه انشقّ ، ولم يخبرنا بأنه سينشق ، وإن نظرنا إلى سنة رسول اللّه ﷺ فقد ثبت فى الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك فى أيام النبوة ، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا ، ولا يلتفت إلى شذوذ من شذّ واستبعاد من استبعد ، وسيأتى ذكر بعض ما ورد فى ذلك إن شاء الله.

﴿ **وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ قال الواحدى : قال المفسرون : لما انشقّ القمر قال المشركون: سحرنا محمد ، فقال الله : ﴿ **وإن يروا آية** ﴾ يعنى انشقاق القمر يعرضوا عن التصديق والإيمان بها ، ويقولوا:سحر قوىّ شديد يعلو كل سحر ، من قولهم : استمرّ الشىء إذا قوى واستحكم ، وقد قال بأن معنى ﴿ **مستمرّ** ﴾ : قوى شديد جماعة من أهل العلم . قال الأخفش : هو مأخوذ من إمرار الحبل ، وهو شدة فتله ، وبه قال أبو العالية والضحاك ، واختاره النحاس ، ومنه قول لقيط :

حتَّى استمَرت على شَزرٍ لا يزنه صِدْقُ العزيمة لا رثا ولا ضَرَعًا

وقال الفراء والكسائى وأبو عبيدة : ﴿ **سحر مستمرّ** ﴾ أى ذاهب ، من قولهم: مرّ الشىء واستمرّ إذا ذهب ، وبه قال قتادة ومجاهد وغيرهما ، واختاره النحاس ، وقيل : معنى ﴿**مستمرّ**﴾ : دائم مطرد ، ومنه قول الشاعر :

---

(١) ابن كثير ٦ / ٤٦٩ .

ألا إنما الدنيا ليال وأعصر وليس على شيء قديم بمستمر

أى بدائم باق . وقيل : ﴿ مستمرّ ﴾ : باطل ، روى هذا عن أبى عبيدة أيضًا . وقيل: يشبه بعضه بعضا . وقيل : قد مرّ من الأرض إلى السماء . وقيل : هو من المرارة ، يقال : مرّ الشىء صار مرًا ، أى مستبشعًا عندهم . وفى هذه الآية أعظم دليل على أن الانشقاق قد كان كما قررناه سابقا . ثم ذكر سبحانه تكذيبهم فقال : ﴿**وكذبوا واتبعوا أهواءهم** ﴾ أى وكذبوا رسول الله ، وما عاينوا من قدرة الله ، واتبعوا أهواءهم وما زينه لهم الشيطان الرجيم ، وجملة : ﴿**وكل أمر مستقرّ**﴾ مستأنفة لتقدير بطلان ما قالوه من التكذيب واتباع الأهواء ، أى وكل أمر من الأمور منته إلى غاية ، فالخير يستقر بأهل الخير ، والشر يستقر بأهل الشر ، قال الفراء : يقول : يستقر قرار تكذيبهم ، وقرار قول المصدّقين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب . قال الكلبى : المعنى : لكل أمر حقيقة ما كان منه فى الدنيا فسيظهر، وما كان منه فى الآخرة فسيعرف ، قرأ الجمهور : ﴿ **مستقرّ** ﴾ بكسر القاف ، وهو مرتفع على أنه خبر المبتدأ وهو« كلّ»، وقرأ أبو جعفر وزيد بن على بجر «مستقر » على أنه صفة لـ﴿ **أمر**﴾ ، وقرأ شيبة بفتح القاف ، ورويت هذه القراءة عن نافع ، قال أبو حاتم : ولا وجه لها . وقيل : لها وجه بتقدير مضاف محذوف، أى وكل أمر ذو استقرار ، أو زمان استقرار ، أو مكان استقرار ، على أنه مصدر أوظرف زمان ، أو ظرف مكان .

﴿ **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر** ﴾ أى ولقد جاء كفار مكة ، أو الكفار على العموم من الأنباء ، ومن أخبار الأمم المكذبة المقصوصة علينا فى القرآن ﴿ **ما فيه مزدجر** ﴾ أى ازدجار على أنه مصدر ميمىّ ، يقال : زجرته : إذا نهيته عن السوء ووعظته ، ويجوز أن يكون اسم مكان ، والمعنى : جاءهم ما فيه موضع ازدجار ، أى أنه فى نفسه موضع لذلك ، وأصله: مزتجر، « وتاء » الافتعال تقلب دالا مع الزاى والدال والذال كما تقرّر فى موضعه ، وقرأ زيد بن علىّ : « مزّجر » بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاى فى الزاى ، و « من » فى قوله : ﴿ **من الأنباء** ﴾ للتبعيض ، وهى وما دخلت عليه فى محل نصب على الحال ، وارتفاع ﴿ **حكمة بالغة**﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف أو بدل من « ما » بدل كل من كل ، أوبدل اشتمال، والمعنى: أن القرآن حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص ولا خلل ، وقرئ بالنصب على أنها حال من «ما» ، أى حال كون ما فيه مزدجر حكمة بالغة ﴿ **فما تغن النذر** ﴾ « ما » يجوز أن تكون استفهامية ، وأن تكون نافية ، أى أىّ شىء تغنى النذر أو لم تغن النذر شيئا ، والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجىء الحكمة البالغة ، والنذر جمع نذير بمعنى : النذر، أو معنى : الإنذار على أنه مصدر .

ثم أمره الله سبحانه بالإعراض عنهم فقال : ﴿ **فتولّ عنهم** ﴾ أى أعرض عنهم حيث لم يؤثر فيهم الإنذار ، وهى منسوخة بآية السيف . ﴿ **يوم يدع الداع إلى شىء نكر** ﴾ انتصاب الظرف إما بفعل مقدّر ، أى اذكر ، وإما بـ ﴿**يخرجون** ﴾ المذكور بعده ، وإما

بقوله : ﴿ فما تغن ﴾ ، ويكون قوله :﴿ فتولّ عنهم ﴾ اعتراضًا ، أو بقوله :﴿ يقول الكافرون﴾ أو بقوله : ﴿ خشعا ﴾ وسقطت الواو من ﴿ يدع ﴾ اتباعا للفظ ، وقد وقعت فى الرسم هكذا وحذفت الياء من الداع للتخفيف واكتفاء بالكسرة ، والداع : هو إسرافيل ، والشىء النكر : الأمر الفظيع الذى ينكرونه استعظاما له لعدم تقدّم العهد لهم بمثله . قرأ الجمهور بضم الكاف ، وقرأ ابن كثير بسكونها تخفيفا . وقرأ مجاهد وقتادة بكسر الكاف وفتح الراء على صيغة الفعل المجهول . ﴿ خشعا أبصارهم ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ خشعا ﴾ جمع خاشع ، وقرأ حمزة والكسائى وأبو عمرو : « خاشعًا » على الإفراد ، ومنه قول الشاعر :

وَشَبَاب حَسَن أَوْجُهُهُمْ ... إيادِ بن نِزارِ بن مَعَد

وقرأ ابن مسعود : « خاشعة » قال الفراء : الصفة إذا تقدمت على الجماعة جاز فيها التذكير والتأنيث والجمع ، يعنى : جمع التكسير لا جمع السلامة ، لأنه يكون من الجمع بين فاعلين ، ومثل قراءة الجمهور قول امرئ القيس .

وقوفا بها صحبى علىّ مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وانتصاب ﴿ خشعا ﴾ على الحال من فاعل يخرجون ، أو من الضمير فى﴿ عنهم ﴾ . والخشوع فى البصر : الخضوع والذلة ، وأضاف الخشوع إلى الأبصار لأن العزّ والذل يتبين فيها ﴿يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ أى يخرجون من القبور ، وواحد الأجداث : جدث وهو القبر ، كأنهم لكثرتهم واختلاط بعضهم ببعض جراد منتشر . أى منبث فى الأقطار مختلط بعضه ببعض . ﴿ مهطعين إلى الداع ﴾ الإهطاع : الإسراع ، أى قال كونهم مسرعين إلى الداع ، وهو إسرافيل ، ومنه قول الشاعر :

بِدجْلَةَ دَارهُم ولَقد أرَاهُمْ ... بِدجْلَةَ مُهْطِعين إلَى السَّماعِ

أى مسرعين إليه ، وقال الضحاك : مقبلين ، وقال قتادة : عامدين ، وقال عكرمة : فاتحين آذانهم إلى الصوت ، والأولّ أولى ، وبه قال أبو عبيدة وغيره ، وجملة : ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ فى محل نصب على الحال من ضمير ﴿ مهطعين ﴾ ، والرابط مقدر أو مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : فماذا يكون حينئذ ، والعسر: الصعب الشديد ، وفى إسناد هذا القول إلى الكفار دليل على أن اليوم ليس بشديد على المؤمنين . ثم ذكر سبحانه تفصيل بعض ما تقدّم من الأنباء المجملة فقال : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ أى كذبوا نبيهم ، وفى هذا تسلية لرسول الله ﷺ ، وقوله : ﴿فكذبوا عبدنا ﴾ تفسير لما قبله من التكذيب المبهم، وفيه مزيد تقدير وتأكيد ، أى فكذبوا عبدنا نوحا . وقيل : المعنى : كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا نوحا بتكذيبهم للرسل فإنه منهم . ثم بين سبحانه أنهم لم يقتصروا على مجرّد التكذيب فقال : ﴿ وقالوا مجنون ﴾ أى نسبوا نوحا إلى الجنون وقوله : ﴿ وازدجر ﴾ معطوف على قالوا ، أى وزجر عن دعوى النبوة وعن تبليغ ما أرسل به بأنواع الزجر، والدال بدل من

تاء الافتعال كما تقدّم قريبا . وقيل : إنه معطوف على ﴿مجنون﴾ أى وقالوا : إنه ازدجر . أى ازدجرته الجن وذهبت بلبه، والأول أولى . قال مجاهد: هو من كلام الله سبحانه أخبر عنه بأنه انتهز وزجر بالسب وأنواع الأذى . قال الرازى: وهذا أصح ؛ لأن المقصود: تقوية قلب النبىّ ﷺ بذكر من تقدّمه .

﴿ فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ أى دعا نوح ربه على قومه بأنى مغلوب من جهة قومى لتمردّهم على الطاعة وزجرهم لى عن تبليغ الرسالة ، فانتصر لى ، أى انتقم لى منهم ، طلب من ربه سبحانه النصرة عليهم لما أيس من إجابتهم وعلم تمردّهم وعتوّهم وإصرارهم على ضلالتهم ، قرأ الجمهور: ﴿ أنى ﴾ بفتح الهمزة . أى بأنى . وقرأ ابن أبى إسحاق والأعمش بكسر الهمزة ، ورويت هذه القراءة عن عاصم على تقدير إضمار القول ، أى فقال . ثم ذكر سبحانه ما عاقبهم به فقال . ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ أى منصّب انصبابا شديدا ، والهمر الصبّ بكثرة، يقال : همر الماء والدمع يهمر همرا وهمورا : إذا كثر ، ومنه قول الشاعر:

أعينىّ جُودا بالدُّموعِ الهَوَامِرِ ⁂ على خيرِ بَادٍ من مَعَدٍّ وحَاضِـرِ

ومنه قول امرئ القيس يصف عينا :

رَاحَ تَمْرِ به الصَّبَا ثم انْتَحَى ⁂ فيه بشُؤْبُوبٌ (١) جَنُوبٍ مُنْهَمِرِ

قرأ الجمهور : ﴿ ففتحنا ﴾ مخففا ، وقرأ عامر ويعقوب بالتشديد . ﴿ وفجرنا الأرض عيونا ﴾ أى جعلنا الأرض كلها عيونا متفجرة ، والأصل : فجرنا عيون الأرض ، قرأ الجمهور : ﴿ فجرنا ﴾ بالتشديد ، وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة وعاصم فى رواية عنه بالتخفيف ، قال عبيد ابن عمير : أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون . ﴿ فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ أى التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قضى عليهم ، أى كائنًا على حال قدّرها الله وقضى بها ، وحكى ابن قتيبة أن المعنى على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر ، بل كان ماء السماء وماء الأرض على سواء . قال قتادة : قدّر لهم إذ كفروا أن يغرقوا ، وقرأ الجحدرى : «فالتقى الماءان» وقرأ الحسن : « فالتقى الماوان » ورويت هذه القراءة عن علىّ بن أبى طالب ومحمد بن كعب : ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ أى وحملنا نوحا على سفينة ذات ألواح ، وهى الأخشاب العريضة ﴿ ودسر ﴾ قال الزجاج : هى المسامير التى تشدّ بها الألواح واحدها : دسار ، وكل شىء أدخل فى شىء يشدّه فهو الدسر ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب وابن زيد وسعيد بن جبير وغيرهم . وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة : الدسر : ظهر السفينة التى يضربها الموج ، سميت بذلك لأنها تدسر الماء ، أى تدفعه ، والدسر: الدفع . وقال الليث : الدسار : خيط تشدّ به ألواح السفينة . قال فى

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

الصحاح : الدسار : واحد الدسر وهى خيوط تشدّ بها ألواح السفينة ، ويقال : هى المسامير . ﴿ **تجرى بأعيننا** ﴾ أى بمنظر ومرأى منا وحفظ لها كما فى قوله : ﴿**واصنع الفلك بأعيننا** ﴾ [هود : ٣٧] وقيل : بأمرنا . وقيل : بوحينا . وقيل : بالأعين النابعة من الأرض . وقيل : بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها ﴿ **جزاء لمن كان كفر** ﴾ قال الفراء : فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثوابا لمن كفر به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام ، فإنه كان لهم نعمة كفروها فانتصاب ﴿ **جزاء** ﴾ على العلة ، وقيل : على المصدرية بفعل مقدّر ، أى جازيناهم **جزاء** . قرأ الجمهور : ﴿**كفر**﴾ مبنيا للمفعول ، والمراد به : نوح . وقيل : هو الله سبحانه ، فإنهم كفروا به وجحدوا نعمته ، وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد وعيسى : « كفر » بفتح الكاف والفاء مبنيا للفاعل ، أى جزاء وعقابا لمن كفر بالله .

﴿ **ولقد تركناها آية** ﴾ أى السفينة تركها الله عبرة للمعتبرين . وقيل : المعنى : ولقد تركنا هذه الفعلة التى فعلناها بهم عبرة وموعظة . ﴿ **فهل من مدكرّ** ﴾ أصله : مذتكر ، فأبدلت التاء دالا مهملة ، ثم أبدلت المعجمة مهملة لتقاربهما وأدغمت الدال فى الذال والمعنى : هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية ويعتبر بها . ﴿ **فكيف كان عذابى ونذر** ﴾ أى إنذارى . قال الفراء : الإنذار والنذر مصدران ، والاستفهام للتهويل والتعجيب ، أى كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف . وقيل : نذر جمع نذير ، ونذير بمعنى الإنذار ، كنكير : بمعنى الإنكار . ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾ أى سهلناه للحفظ . وأعنا عليه من أراد حفظه . وقيل : هيأناه للتذكر والاتعاظ ﴿ **فهل من مدّكر** ﴾ أى متعظ بمواعظه ومعتبر بعبره ، وفى الآية الحث على درس القرآن والاستكثار من تلاوته والمسارعة فى تعلمه ، ومدكر أصله : مذتكر كما تقدّم قريبا .

وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس ؛ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما . وروى عنه من طريق أخرى عند مسلم والترمذى وغيرهم وقال : فنزلت : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ (١) . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه . فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا » (٢) .

وأخرج عبد بن حميد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عنه قال: رأيت القمر منشقا شقتين مرّتين : مرة بمكة قبل أن يخرج النبىّ ﷺ :شقة على أبى قبيس ،

(١) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٨٦٨) ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨٠٢ / ٤٦) والترمذى فى التفسير (٣٢٨٦) والنسائى فى التفسير (٥٧٤) .

(٢) البخارى فى المناقب (٣٦٣٦) وفى مناقب الأنصار (٣٨٦٩ ، ٣٨٧١) وفى التفسير (٤٨٦٤ ، ٤٨٦٥) ومسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨٠٠ / ٤٣ ــ ٤٥) والترمذى فى التفسير (٣٢٨٥ ، ٣٢٨٧) والنسائى فى التفسير (٥٧٢ ، ٥٧٣) .

وشقة على السويداء ، وذكر أن هذا سبب نزول الآية [١]. وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير ، **والحاكم وصححه** ، وابن مردويه وأبو نعيم عنه أيضا قال : رأيت القمر وقد انشق ، **وأبصرت الجبل بين فرجتى القمر** ، وله طرق عنه . **وأخرج** البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن **عباس قال** : **انشق القمر فى** زمن النبىّ ﷺ وله طرق عنه . وأخرج مسلم **والترمذى** وغيرهما عن ابن عمر **فى قوله** : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ **قال** : كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ **انشق فرقتين** : فرقة من دون **الجبل** ، وفرقة خلفه، فقال النبىّ ﷺ : « اللهم اشهد»[٢]. **وأخرج احمد وعبد بن** حميد والترمذى وابن **جرير** ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وأبو نعيم **والبيهقى عن جبير بن مطعم** عن أبيه **فى** قوله : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ قال : انشق القمر ونحن بمكة **على** عهد رسول **الله** ﷺ حتى صار فرقة على هذا الجبل **وفرقة على هذا الجبل** . فقال الناس: **سحرنا محمد فقال** رجل : إن كان سحركم فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم [٣] .

وأخرج ابن أبى شيبة وعبد **بن** حميد ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، وابن **جرير وابن مردويه وأبونعيم عن** عبد الرحمن السلمى قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن ، **فحمد الله وأثنى عليه** ، ثم قال :﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ ، ألا وإن الساعة قد اقتربت، **ألا وإن القمر قد انشق** على عهد رسول الله ﷺ ، **ألا وإن** الدنيا قد آذنت بفراق ، اليوم **المضمار** ، **وغدا السباق** .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **مهطعين** ﴾ قال : ناظرين . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ قال : كثير : لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماءان . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا : ﴿ **على ذات ألواح ودسر** ﴾ قال : الألواح ألواح السفينة ، والدسر : معاريضها التى تشد بها السفينة . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أيضا فى قوله : ﴿ **ودسر** ﴾ قال : المسامير . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه قال : الدسر كلكل السفينة . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه و**البيهقى** عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر** ﴾ قال : لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلموا بكلام الله . وأخرج الديلمى عن أنس مرفوعًا مثله. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس ﴿ **فهل من مدّكر** ﴾ قال : هل من متذكر .

---

(١) صححه الحاكم ٢ / ٤٧١ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى وقال : « أصله فى الكتابين » والبيهقى فى الدلائل ٢ / ٢٦٥ .

(٢) مسلم فى صفات المنافقين وأحكامهم (٢٨٠١ / ٤٥) والترمذى فى التفسير (٣٢٨٨) وابن جرير ٢٧/ ٥٠ وأبو نعيم فى الدلائل ص ٢٣٤ .

(٣) أحمد ٤ / ٨٢ والترمذى فى التفسير (٣٢٨٩) وابن جرير ٢٧ / ٥١ وصححه الحاكم ٢ / ٤٧٢ على شرط الشيخين وقال الذهبى : « كلها صحاح » ، والبيهقى فى الدلائل ٢ / ٢٦٨ .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠) ﴾

قوله : ﴿ كذبت عاد ﴾ هم قوم عاد ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ أى فاسمعوا كيف كان عذابى لهم وإنذارى إياهم ، ونذر مصدر بمعنى إنذار كما تقدم تحقيقه ، والاستفهام للتهويل والتعظيم ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ هذه الجملة مبينة لما أجمله سابقا من العذاب . والصرصر : شدة البرد ، أى ريح شديدة البرد . وقيل : الصرصر : شدة الصوت ، وقد تقدم بيانه فى سورة حم السجدة ﴿ فى يوم نحس مستمر ﴾ أى دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه ، وقد كانوا يتشاءمون بذلك اليوم ، قال الزجاج : قيل : فى يوم الأربعاء فى آخر الشهر . قرأ الجمهور : ﴿ فى يوم نحس ﴾ بإضافة ﴿يوم ﴾ إلى ﴿نحس ﴾ مع سكون الحاء وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة ، أو على تقدير مضاف ، أى فى يوم عذاب نحس . وقرأ الحسن بتنوين «يوم » على أن ﴿نحس ﴾ صفة له ، وقرأ هارون بكسر الحاء ، قال الضحاك : كان ذلك اليوم مرًّا عليهم، وكذا حكى الكسائى عن قوم أنهم قالوا : هو من المرارة ، وقيل : هو من المرّة بمعنى: القوة ؛ أى فى يوم قوىّ الشؤم مستحكمه ، كالشىء المحكم الفتل الذى لا يطاق نقضه ، والظاهر أنه من الاستمرار لا من المرارة ولا من المرّة، أى دام عليهم العذاب فيه حتى أهلكهم ، وشمل بهلاكه كبيرهم وصغيرهم .

وجملة : ﴿ **تنزع الناس** ﴾ فى محل نصب على أنها صفة لـ ﴿ **ريحا** ﴾ أو حال منها ، ويجوز أن تكون استئنافا ، أى تقلعهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها . قال مجاهد : كانت تقلعهم من الأرض فترمى بهم على رؤوسهم فتدق أعناقهم وتبين رؤوسهم من أجسادهم . وقيل : تنزع الناس من البيوت . وقيل : من قبورهم لأنهم حفروا حفائر ودخلوها ﴿ **كأنهم أعجاز نخل منقعر** ﴾ الأعجاز : جمع عجز ، وهو مؤخر الشيء ، والمنقعر : المنقطع المنقلع من أصله ، يقال : قعرت النخلة : إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط ، شبههم فى طول قاماتهم حين صرعتهم الريح ، وطرحتهم على وجوههم ، بالنخل الساقط على الأرض التى ليست لها رؤوس ، وذلك أن الريح قلعت رؤوسهم أولا ثم كبتهم [١] على وجوههم وتذكير منقعر مع كونه صفة لأعجاز نخل وهى مؤنثة اعتبارا باللفظ ويجوز تأنيثه اعتباراً بالمعنى، كما قال : ﴿ أعجاز نخل خاوية ﴾ [الحاقة : ٧] قال المبرد : كل ما ورد عليك من هذا الباب إن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرا أو إلى المعنى تأنيثا . وقيل : إن النخل والنخيل يذكر ويؤنث ﴿ **فكيف كان عذابى ونذر** ﴾ قد تقدم تفسيره قريبا ، وكذلك قوله: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

ثم لما ذكر سبحانه تكذيب عاد أتبعه بتكذيب ثمود ، فقال : ﴿ كذبت ثمود بالنذر ﴾ يجوز أن يكون جمع نذير ، أى كذبت بالرسل المرسلين إليهم ، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإنذار، أى كذبت بالإنذار الذى أنذروا به ، وإنما كان تكذيبهم لرسولهم وهو صالح تكذيبا للرسل ، لأن من كذب واحداً من الأنبياء فقد كذب سائرهم ، لاتفاقهم فى الدعوة إلى كليات الشرائع ﴿**فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه** ﴾ الاستفهام للإنكار ، أى كيف نتبع بشرا كائنا من جنسنا منفردا وحده لا متابع له على ما يدعو إليه ؟ قرأ الجمهور : بنصب ﴿ **بشراً** ﴾ على الاشتغال ، أى أنتبع بشرا واحدا . وقرأ أبو السمال والدانى وأبو الأشهب وابن السميقع بالرفع على الابتداء ، و ﴿**واحداً**﴾ صفته، و ﴿**نتبعه**﴾ خبره ، وروى عن أبى السمال أنه قرأ برفع ﴿ **بشراً** ﴾ ونصب ﴿ **واحداً** ﴾ على الحال ﴿ **إنا إذا لفى ضلال** ﴾ أى إنا إذا اتبعناه لفى خطأ وذهاب عن الحق ﴿**وسعر**﴾ أى عذاب وعناء وشدة كذا قال الفراء وغيره ، وقال أبو عبيدة : هو جمع سعير ، وهو لهب النار ، والسعر : الجنون يذهب كذا وكذا لما يلتهب به من الحدّة . وقال مجاهد: ﴿ **وسعر**﴾ وبُعد عن الحقّ . وقال السدىّ : فى احتراق . وقيل : المراد به هنا : الجنون ، من قولهم : ناقة مسعورة ، أى كأنها من شدة نشاطها مجنونة ، ومنه قول الشاعر يصف ناقة :

تَخَالُ بها سُعْرًا إذَا السَّفْرُ هَزَّهَا ... ذَميلٌ [٢] وإيقاعٌ من السَّيْرِ مُتْعِبُ

ثم كرروا الإنكار والاستبعاد فقالوا : ﴿ **أألقى الذكر عليه من بيننا** ﴾ أى كيف خصّ من

---

(١) فى المطبوعة : « كتبتهم » ، والصواب ما أثبتناه من المخطوطة .

(٢) الذميل : ضرب من سير الإبل السريع .

بيننا بالوحى والنبوّة وفينا من هو أحقّ بذلك منه ؟ ثم أضربوا عن الاستنكار وانتقلوا إلى الجزم بكونه كذابا أشرا ، فقالوا : ﴿ **بل هو كذاب أشر** ﴾ . والأشر : المرح والنشاط ، أو البطر والتكبر ، وتفسيره بالبطر والتكبر أنسب بالمقام ، ومنه قول الشاعر :

أشِرتُمْ بَلبْس الخَزِّ لَمَّا لَبِستُمُ ومن قبلُ لا تدرون مَنْ فَتَحَ القُرىَ

قرأ الجمهور : ﴿ **أشر** ﴾ كفرح ، وقرأ أبو قلابة وأبو جعفر بفتح الشين وتشديد الراء على أنه أفعل تفضيل . ونقل الكسائى عن مجاهد أنه قرأ بضم الشين مع فتح الهمزة . ثم أجاب سبحانه عليهم بقوله : ﴿ **سيعلمون غدا من الكذاب الأشر** ﴾ والمراد بقوله : ﴿ **غدا** ﴾ : وقت نزول العذاب بهم فى الدنيا ، أو فى يوم القيامة جريًا على عادة الناس فى التعبير بالغد عن المستقبل من الأمر وإن بعد ، كما فى قولهم : إن مع اليوم غدا ، وكما فى قول الحطيئة :

للموت فيها سِهامٌ غَيْر مُخْطِئَةٍ مَنْ لم يكن مَيِّتًا فى اليوم ماتَ غَدَا

ومنه قول أبى الطرمَّاح :

ألا عَللانِى قَبْلَ نَوْحِ النَّوائِحِ وَقَبْلَ اضْطِرَابِ النَّفْسِ بَين الجَوانِحِ

وقبلَ غَدٍ يالَهْفَ نَفْسِى على غَدٍ إذَا رَاحَ أصْحَابِى ولستُ برائِحِ

قرأ الجمهور : ﴿ **سيعلمون** ﴾ بالتحتية إخبار من الله سبحانه لصالح عن وقوع العذاب عليهم بعد مدة ، وقرأ أبوعمرو وابن عامر وحمزة بالفوقية على أنه خطاب من صالح لقومه . وجملة : ﴿ **إنا مرسلو الناقة** ﴾ مستأنفة لبيان ما تقدّم إجماله من الوعيد ، أى إنا مخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه ﴿ **فتنة لهم** ﴾ أى ابتلاء وامتحانا ، وانتصاب ﴿**فتنة**﴾ على العلة ﴿**فارتقبهم**﴾ أى انتظر ما يصنعون ﴿ **واصطبر**﴾ على ما يصيبك من الأذى منهم . ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم** ﴾ أى بين ثمود وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم، كما فى قوله: ﴿ **لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴾ [الشعراء : ١٥٥] وقال : ﴿ **نبئهم** ﴾ بضمير العقلاء تغليبا . ﴿ **كل شرب محتضر** ﴾ الشرب بكسر الشين : الحظ من الماء، ومعنى ﴿**محتضر** ﴾ : أنه يحضره من هوله ، فالناقة تحضره يومًا وهم يحضرونه يوما ، قال مجاهد : إن ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم ، فيشربون ويحضرون يوم نوبتها فيحتلبون . قرأ الجمهور: ﴿**قسمة** ﴾ بكسر القاف بمعنى: مقسوم ، وقرأ أبو عمرو فى رواية عنه بفتحها ، ﴿ **فنادوا صاحبهم** ﴾ أى نادى ثمود صاحبهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة يحضونه على عقرها ﴿**فتعاطى فعقر** ﴾ أى تناول الناقة بالعقر فعقرها ، أو اجترأ على تعاطى أسباب العقر فعقر. قال محمد بن إسحاق: كمن لها فى أصل شجرة على طريقها ، فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ، ثم شدّ عليها بالسيف فكسر عرقوبها ثم نحرها ، والتعاطى : تناول الشىء

بتكلف ﴿ **فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ قد تقدّم تفسيره في هذه السورة . ثم بين ما أجمله من العذاب فقال : ﴿ **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة** ﴾ قال عطاء : يريد صيحة جبريل ، وقد مضى بيان هذا في سورة هود وفي الأعراف ﴿ **فكانوا كهشيم المحتظر** ﴾ قرأ الجمهور بكسر الظاء ، والهشيم : حطام الشجر ويابسه ، والمحتظر : صاحب الحظيرة ، وهو الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها عن برد الرّيح، يقال : احتظر على غنمه : إذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض . قال في الصحاح : والمحتظر : الذي يعمل الحظيرة ، وقرأ الحسن وقتادة وأبو العالية بفتح الظاء ، أي كهشيم الحظيرة ، فمن قرأ بالكسر أراد الفاعل للاحتظار ، ومن قرأ بالفتح أراد الحظيرة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، ومعنى الآية أنهم صاروا كالشجر إذا يبس في الحظيرة وداسته الغنم بعد سقوطه ، ومنه قول الشاعر :

أثرن عجاجة كدخان نار تشب بغرقد بال هشيم

وقال قتادة : هو العظام النخرة المحترقة ، وقال سعيد بن جبير : هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح ، وقال سفيان الثوري : هو ما يتناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصى ، قال ابن زيد : العرب تسمى كلّ شيء كان رطبا فيبس هشيما ، ومنه قول الشاعر : .

ترى جيف المطيّ بجانبيه كأن عظامها خشب الهشيم

﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر** ﴾ قد تقدم تفسير هذا في هذه السورة . ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بأنهم كذبوا رسل الله كما كذبهم غيرهم ، فقال : ﴿ **كذبت قوم لوط بالنذر** ﴾ وقد تقدّم تفسير النذر قريبًا . ثم بين سبحانه ما عذبهم به فقال : ﴿ **إنا أرسلنا عليهم حاصبًا** ﴾ أي ريحا ترميهم بالحصباء ، وهي الحصا . قال أبو عبيدة والنضر بن شميل : الحاصب: الحجارة في الريح . قال في الصحاح : الحاصب : الريح الشديدة التي تثير الحصباء، ومنه قول الفرزدق :

مستقبلين شمال الشام يضربها بحاصب كنديف القطن منثور

﴿ **إلا آل لوط نجيناهم بسحر** ﴾ يعني : لوطا ومن تبعه ، والسحر : آخر الليل . وقيل : هو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أوّل النهار ، وانصرف ﴿**سحر**﴾ لأنه نكرة لم يقصد به سحر ليلة معينة ، ولو قصد معينا لامتنع ، كذا قال الزجاج والأخفش وغيرهما ، وانتصاب ﴿ **نعمة من عندنا** ﴾ على العلة ، أو على المصدرية ، أي إنعاما منا على لوط ومن تبعه . ﴿ **كذلك نجزي من شكر** ﴾ أي مثل ذلك الجزاء نجزي من شكر نعمتنا ولم يكفرها . ﴿**ولقد أنذرهم بطشتنا**﴾ أي أنذر لوط قومه بطشة الله بهم ، وهي عذابه الشديد وعقوبته البالغة، ﴿**فتماروا بالنذر** ﴾ أي شكوا في الإنذار ولم يصدّقوه ، وهو تفاعلوا من المرية وهي الشك . ﴿ **ولقد راودوه عن ضيفه** ﴾ أي أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة ليفجروا بهم كما هو دأبهم ، يقال : راودته عن كذا مراودة وروادا ، أي أردته ، وراد الكلام يروده رودا ،

أى : طلبه ، وقد تقدم تفسير المراودة ، مستوفى فى سورة يوسف ﴿ **فطمسنا أعينهم** ﴾ أى صيرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شق كما تطمس الريح الأعلام بما تسفى عليها من التراب، وقيل :أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها.قال الضحاك: طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل فرجعوا ﴿ **فذوقوا عذابى ونذر** ﴾ قد تقدّم تفسيره فى هذه السورة . ﴿**ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقرّ** ﴾ أى أتاهم صباحا عذاب مستقر بهم نازل عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم . قال مقاتل : استقر بهم العذاب بكرة ، وانصراف ﴿ **بكرة** ﴾ لكونه لم يرد بها وقتا بعينه كما سبق فى ﴿**بسحر** ﴾. ﴿ **فذوقوا عذابى ونذر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر** ﴾ قد تقدم تفسير هذا فى هذه السورة ، ولعل وجه تكرير تيسير القرآن للذكر فى هذه السورة الإشعار بأنه منة عظيمة لا ينبغى لأحد أن يغفل عن شكرها .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا** ﴾ قال : باردة ﴿ **فى يوم نحس** ﴾ قال : أيام شداد . وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم الأربعاء يوم نحس مستمر » [(١)] . وأخرجه عنه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعا . وأخرجه ابن مردويه عن علىّ مرفوعا [(٢)] . وأخرج ابن مردويه أيضا عن أنس مرفوعا ، وفيه قيل : وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : أغرق الله فيه فرعون وقومه ، وأهلك فه عادًا وثمود » [(٣)] . وأخرج ابن مردويه والخطيب بسند ، قال السيوطى : ضعيف ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمرّ»[(٤)] .

وأخرج ابن المنذر عنه : ﴿ **كأنهم أعجاز نخل** ﴾ قال : أصول النخل ﴿ **منقعر** ﴾ قال : منقلع . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا فى الآية قال : أعجاز سواد النخل . وأخرج ابن المنذر عنه أيضا : ﴿ **وسعر** ﴾ قال : شقاء . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أيضا قال : ﴿ **كهشيم المحتظر** ﴾ قال : كحظائر من الشجر محترقة . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى الآية قال : كالعظام المحترقة . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه قال : كالحشيش تأكله الغنم .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤)

(١) الموضوعات لابن الجوزى ٢ / ٧٤ وفيه : «فلم يروه إلا إبراهيم بن أبى حية . قال الدارقطنى : وهو متروك». وقال الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٤٣٨ : « موضوع » .

(٢) كشف الخفاء للعجلونى (٣٢٥٥) وقال : « أخرجه ابن مردويه فى التفسير بأسانيد واهية عن على وأنس».

(٣) انظر سابقه .

(٤) الموضوعات لابن الجوزى ٢ / ٧٣ « وفى سنده . مسلمة بن الصلت . قال أبو حاتم الرازى : هو متروك الحديث » .

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ **النذر** ﴾ يجوز أن يكون جمع نذير ، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى : الإنذاركما تقدم . وهى الآيات التى أنذرهم بها موسى ، وهذا أولى لقوله : ﴿ **كذبوا بآياتنا كلها** ﴾ فإنه بيان لذلك، والمراد بها: الآيات التسع التى تقدّم ذكرها ﴿**فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر** ﴾ أى أخذناهم بالعذاب أخذ غالب فى انتقامه قادر على إهلاكهم لا يعجزه شىء . ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال : ﴿ **أكفاركم خير من أولئكم** ﴾ والاستفهام للإنكار ، والمعنى النفى ، أى ليس كفاركم يا أهل مكة، أو يا معشر العرب خيراً من كفار من تقدّمكم من الأمم الذين أهلكوا بسبب كفرهم . فكيف تطمعون فى السلامة من العذاب وأنتم شر منهم . ثم أضرب سبحانه عن ذلك وانتقل إلى تبكيتهم بوجه آخر هو أشد من التبكيت بالوجه الأوّل فقال: ﴿ **أم لكم براءة فى الزبر** ﴾ والزبر هى الكتب المنزلة على الأنبياء . والمعنى : إنكار أن تكون لهم براءة من عذاب الله فى شىء من كتب الأنبياء. ثم أضرب عن هذا التبكيت وانتقل إلى التبكيت لهم بوجه آخر فقال : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر**﴾ أى جماعة لا تطاق لكثرة عددنا وقوتنا ، أو أمرنا مجتمع لا نغلب. وأفرد منتصرا اعتبارا بلفظ جميع . قال الكلبى : المعنى : نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا ، فرد الله سبحانه عليهم بقوله : ﴿ **سيهزم الجمع** ﴾ أى جمع كفار مكة ، أو كفار العرب على العموم ، قرأ الجمهور : ﴿ **سيهزم** ﴾ بالتحتية مبنيا للمفعول ، وقرأ ورش عن يعقوب : «سنهزم» بالنون وكسر الزاى ونصب الجمع ، وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة بالتحتية مبنيا للفاعل، وقرئ بالفوقية مبنيا للفاعل ﴿**ويولون الدبر** ﴾ . قرأ الجمهور : ﴿ **يولون** ﴾ بالتحتية ، وقرأ عيسى وابن أبى إسحاق وورش عن يعقوب بالفوقية على الخطاب ، والمراد بالدبر : الجنس ، وهو فى معنى الإدبار ، وقد هزمهم الله يوم بدر وولوا الأدبار ، وقتل رؤساء الشرك وأساطين الكفر ، فلله الحمد .

﴿ **بل الساعة موعدهم** ﴾ أى موعد عذابهم الأخروى ، وليس هذا العذاب الكائن فى الدنيا بالقتل والأسر والقهر هو تمام ما وعدوا به من العذاب ، وإنما هو مقدّمة من مقدّماته وطليعة من طلائعه ، ولهذا قال : ﴿ **والساعة أدهى وأمرّ** ﴾ أى وعذاب الساعة أعظم فى الضر وأفظع ، مأخوذ من الدهاء ، وهو النكر والفظاعة ، ومعنى أمرّ : أشد مرارة من عذاب الدنيا ، يقال : دهاه أمر كذا ، أى أصابه دهواً ودهيا . ﴿ **إن المجرمين فى ضلال وسعر** ﴾ أى فى ذهاب عن

الحق وبعد عنه ، وقد تقدّم فى هذه السورة تفسير ﴿وسعر﴾ فلا نعيده . ﴿ **يوم يسحبون فى النار على وجوههم** ﴾ والظرف منتصب بما قبله ، أى كائنون فى ضلال وسعر يوم يسحبون ، أو بقول مقدّر بعده ، أى يوم يسحبون يقال لهم :﴿ **ذوقوا مس سقر** ﴾ أى قاسوا حرّها وشدة عذابها ، وسقر علم لجهنم ، وقرأ أبو عمرو فى رواية عنه إدغام سين ﴿ **مس** ﴾ فى سين ﴿سقر﴾ ﴿ **إنا كلّ شىء خلقناه بقدر** ﴾ قرأ الجمهور بنصب « كل » على الاشتغال ، وقرأ أبو السمال بالرفع ، والمعنى : أن كل شىء من الأشياء خلقه الله سبحانه ملتبسا بقدر قدرّه وقضاء قضاه سبق فى علمه مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه . والقدر: التقدير، وقد قدّمنا الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى . ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ أى إلا مرة واحدة أو كلمة واحدة كلمح بالبصر فى سرعته ، واللمح : النظر على العجلة والسرعة . وفى الصحاح : لمحه وألمحه : إذا أبصره بنظر خفيف ، والاسم اللمحة . قال الكلبى : وما أمرنا بمجىء الساعة فى السرعة إلا كطرف البصر .

﴿ **ولقد أهلكنا أشياعكم** ﴾ أى أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الأمم . وقيل : أتباعكم وأعوانكم ﴿ **فهل من مدكر**﴾ يتذكر ويتعظ بالمواعظ ويعلم أن ذلك حق ، فيخاف العقوبة وأن يحل به ما حلّ بالأمم السالفة ﴿ **وكل شىء فعلوه فى الزبر** ﴾ أى جميع ما فعلته الأمم من خير أو شر مكتوب فى اللوح المحفوظ . وقيل : فى كتب الحفظة ﴿ **وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ أى كل شىء من أعمال الخلق وأقوالهم وأفعالهم مسطور فى اللوح المحفوظ صغيره وكبيره وجليله وحقيره، يقال : سطر يسطر سطرا كتب ، وأسطر مثله . ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال الأشقياء ذكر حال السعداء فقال : ﴿ **إن المتقين فى جنات ونهر** ﴾ أى فى بساتين مختلفة وجنان متنوعة وأنهار متدفقة . قرأ الجمهور : ﴿ **ونهر** ﴾ بفتح الهاء على الإفراد ، وهو جنس يشمل أنهار الجنة . وقرأ مجاهد والأعرج وأبو السمال بسكون الهاء وهما لغتان ، وقرأ أبو مجلز وأبو نهشل والأعرج وطلحة بن مصرف وقتادة : « نهر » بضم النون والهاء على الجمع ﴿ **فى مقعد صدق** ﴾ أى فى مجلس حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم ، وهو الجنة ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ أى قادر على ما يشاء لا يعجزه شىء ، و﴿عند﴾ هاهنا، كناية عن الكرامة وشرف المنزلة ، وقرأ عثمان البستى : « فى مقاعد صدق » .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **أكفاركم خير من أولئكم** ﴾ يقول : ليس كفاركم خيرًا من قوم نوح وقوم لوط . وأخرج ابن أبى شيبة وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عنه فى قوله : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ قال : كان ذلك يوم بدر قالوا : ﴿**نحن جميع منتصر** ﴾ فنزلت هذه الآية [1] . وفى البخارى وغيره عنه أيضا أن النبى ﷺ قال

(١) ابن أبى شيبة (٩ · ١٨٥) وابن جرير ٢٧ / ٦٤ وأورده ابن حجر فى المطالب العالية (٣٧٦١) ونسبه لابن منيع ، وفيه على بن عاصم وهو ضعيف ، قاله البوصيرى .

وهو فى قبة له يوم بدر : « أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا » ، فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله ألححت على ربك ، فخرج وهو يثب فى الدرع ويقول : ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ** ﴾ » (١) .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذى وابن ماجة وغيرهم عن أبى هريرة قال : جاء مشركو قريش إلى النبى ﷺ يخاصمونه فى القدر . فنزلت : ﴿ **يوم يسحبون فى النار على وجوههم** ﴾ (٢) ، وأخرج مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كل شىء بقدر حتى العجز والكيس » (٣) . وأخرج ابن المنذر عنه فى قوله : ﴿ **وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ قال : مسطور فى الكتاب .

---

(١) البخارى فى الجهاد (٢٩١٥) وفى المغازى (٣٩٥٣) وفى التفسير (٤٨٧٥ ـ ٤٨٧٧) والنسائى فى التفسير (٥٧٧) . والدرع : هو قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس فى الحروب .

(٢) أحمد ٢ / ٤٤٤ ، ٤٧٦ . ومسلم فى القدر (٢٦٥٦ / ١٩) والترمذى فى التفسير (٣٢٩٠) وابن ماجة فى المقدمة (٨٣) .

(٣) مسلم فى القدر (٢٦٥٥ / ١٨) .